ROUTE
EDUCATIONAL & SOCIAL SCIENCE JOURNAL
ISSN: 2148-5518

Volume 7, Issue 5, May 2020, p. 31-44

İstanbul / Türkiye

Article Information

Article Type: *Research Article*

This article was checked by iThenticate.

Article History:
Received
27/03/2020
Received in revised form
20/04/2020
Available online
15/05/2020

THE EGYPTIAN PHOENICIAN RELATIONS DURING THE EIGHTEENTH DYNASTY (1320-1567 B.C)

Hyfa Abdualrahman ELSHAFY[1]

Abstract

In most of the cases, the map of any region might change due to the international relations which regulate its politics. This is clearly true in regard to the Middle East as it is one of the main current issues today in all relations between countries. This issue has prompted many researchers to write about it since dealing with these issues can only be possible through reflecting upon the past. Based on this view point, the current research entitled, The Egyptian Phoenician Relations during the Eighteenth Dynasty (1320-1567 B.C.), is concerned mainly with this period in which various movements were witnessed as a result of the international circumstances which the region was affected and influenced by, especially since Egypt and the Phoenician cities are strong competitors in the region. The researcher assumed that the commercial relations that linked the two parties are of a clear impact in developing various relations; political, economic, social and military and others. Thus, this is what can be described as the effect and influence between the ancient civilizations.

Key words: relations, Eighteenth Dynasty, The Phoenicians.

[1] Dr. , Misurata University, Libya, hyfa.abdulrahman@art.misuratau.edu.ly

العلاقات المصرية الفينيقية زمن الأسرة الثامنة عشرة 1320-1567 ق.م

هيفاء عبدالرحمن الشعافي[2]

الملخص

تتغير في الكثير من الأحيان خارطة أي منطقة نتيجة العلاقات الدولية التي تُسيّر دفة السياسات داخلها، وهذا ما يحدث الآن مع منطقة الشرق الأوسط، الذي يُعد اليوم من القضايا الحاضرة في كل العلاقات بين الدول، وهو ما دفع العديد من البحاث إلى الكتابة عنه، إذ أن الوقوف عند هذه القضايا ومعالجتها لا يتم إلا من خلال العودة إلى الماضي ومن هذا المنطلق جاء عنوان هذا البحث العلاقات المصرية الفينيقية زمن الأسرة الثامنة عشرة 1320-1567 ق.م، باعتبارها الفترة التي شهدت حركة اتصال مختلفة ، وذلك وفق الظروف الدولية التي أثرت وتأثرت بها المنطقة خاصة، وأن مصر والمدن الفينيقية تُعدان منافسان قويان في المنطقة، وقد افترضت الباحثة أن العلاقات التجارية التي ربطت بين الطرفين كانت ذات أثر واضح في تطور العلاقات المختلفة سواء سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية وغيرها ، وهو ما يندرج تحت التأثير والتأثر بين الحضارات القديمة.

الكلمات المفتاحية، العلاقات، الأسرة الثامنة عشرة، الفينيقيين.

المدخل:

يعتبر تاريخ مصر والمدن الفينيقية، من المؤثرات المهمة في التاريخ الإنساني، في العصور القديمة، إذ تشكلت في منطقة الشرق القديم قوى عديدة، كان لها أثرها في المجالات المختلفة سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية أم دينية أم ثقافية، مما غيّر من خارطة المنطقة السياسية، إلا أن ما يهم الباحثة هنا هو ذلك التأثير الذي وقع بين كل من مصر والدويلات الفينيقية التي نشأت على الساحل الفينيقي.

تُعد المعلومات التي أُخذت عن الجانب المصري وفيرة نوعاً ما، وإن شابها الكثير من المبالغة والتهويل، بعكس ما عُرف عن الفينيقيين، الذين لم يدونوا من تاريخهم إلا الشيء القليل، إذ تعرض أكثره إلى الحرق، والتلف؛ لذا وجب على الباحثين استقساء المعلومات من مصادر أخرى مثل النقوش، والسجلات المصرية، والآشورية، التي من خلالها يمكن معرفة قوة، وضعف المدن الفينيقية؛ بسبب الحملات التي كانوا يرسلونها إليها، والتي تنوعت أهدافها مابين غازية، ومؤدبة، ومستعرضة.

يضاف إلى ذلك الكتابات الإغريقية مثل ملحمتا الإلياذة، والأوديسا، وأيضاً كتابات هيرودوت الذي زار مدينة صور، ودوّن ما شاهده فيها، ومع كل ذلك فإن ما كُتب في هذه المصادر يتم أخذه بحرص، وتفحص، وتدقيق، لأن بعض كتاباتهم تخلو من عدم المصداقية في بعض الأحيان، ومع ذلك فإن الأمر لا يخلو من وجود بعض المصادر، ومن أهمها مراسلات تل العمارنة، وهي عبارة عن رسائل تبادلها عدد من ملوك الأسرة الثامنة عشرة المصرية مع ملوك ممالك الشرق القديم، وأمراء المدن الفينيقية، خلال القرن الرابع عشر ق.م.

[2] محاضر مساعد، جامعة مصراتة، ليبيا، hyfa.abdulrahman@art.misuratau.edu.ly

تهدف هذه الدراسة في توضيح أهمية السلطة والسيطرة التجارية في تلك الفترة من تأثير على الجوانب الأخرى وأهمها العسكرية التي ربطت كلا الطرفين، وأن هذه العلاقات كان لها أثرها الكبير، على المحيطين بهما، كما تهدف إلى تبيان الأسبـــاب والدوافع التي أدت إلى وجود عــلاقات بين الجـــانبين المصري، والفينيقي، وحقيقة دوافع التواجد المصري في المنطقة. يتمثل الإطار المكاني في الساحل السوري الفينيقي الضيق المُطل على البحر المتوسط الذي تفصله من ناحية الشرق حيث توجد الصحراء سلسلة جبال، أما من ناحية الجنوب فيفصله مرج ابن عامر وجبل الكرمل عن فلسطين في حين يفصله عن آسيا الصغرى من جهة الشمال جبال طوروس، أما مصر تمتد أراضيها من البحر المتوسط شمالاً، حتى النوبة جنوباً، ومن صحراء سيناء شرقاً حتى صحراء ليبيا غرباً. كما استخدمت الباحثة المنهج التاريخي للوصول إلى الحقيقة التاريخية التي تسعى الباحثة إلى وصولها. ربطت كِلاَ الجانبين المصري والفينيقي خلال حكم الأسرة الثامنة عشر علاقات سياسية شابها الكثير من الغموض والتعقيد، بحيث يصعب على الباحث في كثير من الأحيان الوصول إلى ماهيتها، والتعــرف عليها؛ لذلك قسمت الباحثــة هذه الفترة إلى خمس مراحل زمنية المرحلة الأولى تمتـد من 1575 -1468ق.م، وهى تبدأ بحكم أحمس الأول وتنتهى بموت الملكـــة حتشبسوت، المرحلة الثانية من 1468-1405ق.م، وهي التي تبدأ بحكم تحتمس الثالث وتنتهي بمــوت تحتمس الرابع، المرحلة الثالثــة من 1405-1308ق.م، وتسمى فترة العمارنة، ويمثلها حكم امنحوتب الرابع، وتنتهي بموت حور محب، المرحلة الرابعة من 1309- 1194ق.م، وتمتـــد من حكـــم سيتي الأول وتنتهي بموت الملكة تاوسرت، المرحلة الخـــامسة وتمتد من 1195-1085 ق.م، وتبدأ من حكم الملك ست نخت، وتنتهي بموت الملك رعمسيس الحادي عشر. (سعد الله، 2001، الصفحات 60-61(يُعد أحمـــس الأول(1570-1546ق.م)، هو المؤسس الأول للأسرة الثامنة عشرة (1567-1320 ق.م) وله دور كبير في طرد الهكسوس من مصر، وملاحقتهم حتى الجنوب الفينيقي، كما يُنسب له تنظيم البلاد، من الفوضى التي سادتها، حيث عمل على إعـادة التنظيم الإداري، وتشـييد العمـائر الدينية، والجنائزية، وكان تركيزه على إعادة التنظيم الداخلي لمصر (جريمال، 1993، الصفحات 257-258)، إذ أدخل أنظمة إدارية جديدة، ومن ذلك الإدارة المالية، حيث جعلها تحت إشرافه المباشر، في حين وزع الإدارات الأخرى على الموظفين العاملين في ديوان الحكومة. (برستد، 1996، صفحة 154)

أما حملاته العسكرية، فقد كان الغرض منها ملاحقة الهكسوس، الذين كانوا يسيطرون على العديد من المدن الفينيقية، والفلسطينية، مكونين فيهما طبقة إقطاعية حاكمة، تتمركز في يدها الثروة، وكان تنظيمهم فيهما تنظيماً ضعيفاً يغلب عليه السمة العسكرية. (حتى، 1951، صفحة 159)

تمكن أحمس الأول من الاستيلاء على بعض تلك المدن الفينيقية؛ لتكون قاعدة عسكرية له في أعماله الحربية ضد الهكسوس، وفي الوقت نفسه اهتم ببلاد النوبة، وتمكن من الاستيلاء عليها، وإعادتها إلى حكم مصر، وبسط نفـوذه عليها حتى الشلال الثاني حســب ما يرجح (زرقانة و شكري، د.ت، صفحة 189)،ويبدو أنه توجه إليها في حملة أخرى، بعد ظهور عدة ثورات ضد حكمه؛ لتعود من جديد تحت سيطرته، مؤسساً فيها وظيفة جديدة هي نائب الملك ، وأضحى لهذه الوظيفة أهمية كبيرة طوال فترة الدولة الحديثة. (إبراهيم، 2004، الصفحات 37-38). أدرك أحمس الأول وجنوده، أثناء مطاردتهم للهكسوس في فلسطين، وفينيقيا حجم الثروة التي تتمتع بها المنطقة، مما شجع الكثيرين للانضمام للجيش طمعاً في الغنائم التي سيحصلون عليها، وبهذا زادت قوة الجيش المصري، وبه توسعت حدود الدولة المصرية كما سيُلاحظ فيما بعد. (سيف الدين، علي، و هاشم، 1998، صفحة 77)

اتجه أحمس نحو فينيقيا للمرة الأخيرة، في العام العشرين تقريباً، من حكمه لكي يقضي على ما تبقى من الهكسوس ، ووصل حتى جاهي، في شمال فلسطين وفينيقيا، وعاد منها بأسرى عملوا في محاجر

الأحجار الجيرية في منف، وتذكر النقوش "إن الخوف الذي يثيره، كان يملأ بلاد سوريا، والقبائل التي كانت تقترب منه بخطى يملؤها الخوف، وتسرع إحداها وراء الأخرى في صالة الاجتماعات". (علي ر.، تاريخ مصر القديم، 2001، الصفحات 65-66)

وبهذا يكون أحمس الأول، قد أجلى الهكسوس عن المناطق التي لجأوا إليها، وطردهم من عموم فينيقيا وفلسطين، وهناك نص يعود إلى العام الثاني والعشرين من حكمه أشير فيه إلى استخدام المصريين ستة ثيران في محاجر المعصرة جلبت من بلاد فنخو (أي بناة السفن) وهم الفينيقيون " الحجر مسحوب بماشية مما استولى عليه جلالته من أرض الفنخو". (مهران، 1994، صفحة 219)

خلفه على العرش ابنه امنحوتب الأول (1546 -1526ق.م)، الذي استمرت فترة حكمه لأكثر من 21 عاماً، وحذا حذو أبيه في تشييد المعابد، ولا يُذكر له نشاط عسكري باتجاه المدن الفينيقية، إلا في نقشين اثنين الأول وهو ما ذكره أحد موظفيه على مقبرته، حين نقش لفظة ميثان ،وهى إحدى الدول الناشئة في منطقة الشرق القديم، وبدأت تنافس الحكم المصري في المنطقة، والنقش الثاني عن بلاد قدمى، وهي جزء من فلسطين أو شرق الأردن (علي ر.، تاريخ مصر القديم، 2001، صفحة 77)، رغم أن خليفته على العرش تحتمس الأول (1525 - 1512 ق.م)، أعلن أن حدود مصر تمتد حتى نهر الفرات، مما رجح توجه حملات عسكرية من قبل امنحوتب الأول إلى تلك المناطق خصوصاً أن أحمس الأول، لم يصل إليها (فيركوتير، 1993، الصفحات 108-109)، ويتضح ذلك من الألقاب التي اتخذها امنحوتب الأول، التي يستدل منها أنه كان له حروبه، ومعاركه سواء في آسيا أو النوبة، وحتى الغرب مع القبائل الليبية، على الرغم من عدم وجود دلائل قوية على اتجاهه نحو آسيا خاصة (فيركوتير، 1993، الصفحات 26-28)، وبالتالي أحاط نشاطه العسكري في آسيا، وخاصة مع المدن الفينيقية بعض الغموض، ولا يعرف ما إذا كان قد وصل إلى تلك المناطق، أو على الأقل توجّه إليها، أم ظل الأمر مقتصراً على المناطق الواقعة إلى الجنوب من فينيقيا، أي فلسطين، فالمصادر التي عُنيت بهذه الأخبار قليلة جداً، ولا تكاد تذكر عن تحركاته شيئاً، غير أن هذا لا يعني أنه لم يقم بحملة عسكرية نحو الجنوب الفينيقي، حيث وصل إلى مدينة بيبلوس، بل أنه ربما قام بحملة أخرى، وربما قصد منها الاستعراض العسكري، حيث اتجه إلى نوخاشي شمالاً. (شوال، 2005، صفحة 105)

خلفه تحتمس الأول الذي اشترك معه في توجيه حملات عسكرية، نحو بلاد النوبة، واختلف معه في دخوله لساحة السياسة الدولية، خصوصاً بعد ظهور الميثانيين، والحيثيين كقوتين منافستين لمصر. (عبدالحليم، 1991، صفحة 146)

يُعتبر تحتمس الأول من الملوك المحاربين، الذين قادوا حملاتهم العسكرية بأنفسهم، كما اعتبره عدد من المؤرخين بأنه هو الذي وضع حجر أساس دولة مصر في آسيا، وجعلها صاحبة نفوذ قوي فيها؛ وذلك عن طريق توجيه حملات عسكرية نحو فلسطين، للسيطرة عليها، والانطلاق منها نحو سوريا ودافعه في ذلك عدة أسباب منها إصراره على تحقيق بطولات تجعل منه قائداً قوياً خالداً سياسياً، وعسكرياً، وإحساسه بمكانة مصر الكبرى، والتي يجب أن تكون الأقوى سياسياً، وعسكرياً في ظل المتغيرات، والظروف الدولية السائدة في المنطقة، بالإضافة إلى في الحصول على ثروات المنطقة (شوال، 2005، صفحة 106)

قاد تحتمس الأول جيشه المُعد إعداداً جيداً، خارج الحدود المصرية إلى آسيا، إذ استطاع أن يفرض عن طريقه سيطرته على المناطق الجنوبية الواقعة في غرب آسيا، كذلك توغله في سوريا دون مقاومة ثم تقدمه نحو الأحراش العليا للفرات في بلاد الرافدين لأول مرة في التاريخ الفرعوني، وقد خُلد هذا الانتصار بلوحة نصر على ضفاف نهر الفرات، هذا النهر الذي أدهش المصريين إذ كانوا لا يعرفون إلا نهر النيل الذي يسير من الجنوب إلى الشمال، في حين أن نهر الفرات يسير من الشمال

إلى الجنوب، وكـانوا يتحدثون عن المياه المقلوبة التي تتدفق جنوباً، وبهذا أسموه بالمياه المقلوبة، وبهذا تحددت معالم السياسة الخارجية لمصر لعدة سنوات. (شتيندورف، 1990، الصفحات 56-57(

اندفع عدد من الملوك المصريين نحو سياسة توسعية في بلاد آسيا، حيث أصبحت مصر في هذه الفترة من أقوى القوى العسكرية الموجودة في آسيا، وحققت انتصارات كبيرة، إذ تميزت الأسرة الثامنة عشرة، بالنجاح في السياسة الخارجية، وتحقيق سياسة التوسع، وسميت بفترة تكوين مناطـــق النفوذ المصري حيث يُعد تحتمس الأول، هو من وضع أساس هذه التوسعـات، ولعله كان السبب في نجاحها، واستمرارها لفترة ما. (السيد، د.ت، الصفحات 58-59)

خالف عدد من المؤرخين الرأي القائل بأن تحتمس الأول هو واضع حجر أساس تلك التوسعات، فقد وصفوا حملاته بأنها مجرد غارات على المتمردين، والغرض منها استعراض قواته على المدن الفينيقية، والتقليص من قوتها، خاصة الواقعة على الساحل الفينيقي (شوال، 2005، صفحة 108)، غير أن الباحثة تخالف هذا الرأي، وتستدل على ذلك ما ذكره شوال بأن هناك مدن فينيقية ورد ذكرها في سجلات تحتمس الأول منها قطنة، ويمخد (شوال، 2005، صفحة 15)، وبالتالي فهي تعد دليل على وصول قواته إليهما. انتقل حكم مصر إلى تحتمس الثاني (1512_ 1504 ق.م)، وذلك بعد صراع على العرش مع أخته، وزوجته حتشبسوت، وقام بتوجيه حملات عسكرية نحو النوبة، وكذلك نحو بلاد الفينيقيين، وفلسطين بعد أن ظهرت ثورة ضده في محاولة للتخلص من حكمه هناك؛ لينتصر عليها ويدعم حكمه أكثر، وذكر القائد أحمس بن آبانا، في نقش على جدران مقبرته بمنطقة الكاب، أن تحتمس الثاني توجه بنفسه لإخضاع قبائل الشاشو، وهم البدو من سكان شمال شرق وجنوب فلسطين، الذين استغلوا الثورات التي قامت ضد الحكم المصري، حـيث عملوا على قطع الطرق أمام القوافل، وقد تمكن من أسر العديد منهم (أديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة ، 1997، الصفحات 164-165)، وترى الباحثة أن انشغال تحتمس الثاني بالصراع ضد شقيقته وزوجته على العرش أثّر في تحركاته نحو توسيع الحكم المصري، الذي قد سبقه إليه تحتمس الأول، لذا لم تتعد حملاته إلى فلسطين حملة واحدة . يتبين من خلال تكرار الحملات التي يقوم بها الجيش المصري، سواء نحو الشمال أو الجنوب، ثم عودته إلى ثكناته عندما ينتهي كل شيء يدل على ضعف سياسة الخطة العسكرية، وأن الهدف الأساسي من ذلك هو تأمين الطرق التجارية فقط، والمحافظة على الحدود، ويستدل على ذلك بالحصون المخصصة لحراسة الطرق. (علي ر.، تاريخ مصر القديم، 2001، صفحة 94)

وصف بعض المؤرخين حال مصر بعدما استلمت حتشبسوت (1503-1482 ق.م) العرش بالسلام والهدوء، وذلك بعد عصر اندلعت فيه الحـروب، وقد استلمت الحكم بعد صراع مع تحتمس الثاني، ومن ثم تحتمس الثالث، الذي استغلت صغر سنه، إذ لم يتعد 16عاماً، فقد استطاعت أن تكون الوصية عليه وتزويجـه من ابنتها، ولكي تفرض حكمها على معارضيها، صورت نفسها في التماثيل على أنها رجل في جسد امرأة، كما عملت على إضفاء القدسية على نفسها، بأنها من نسل الآلهة. (صالح و مختار، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، 1997، صفحة 166)

اتبعـت حتشبسوت سياسة العلاقات الودية مع جيرانها، وحاولت جاهدة الابتعاد عن الحروب، حيث سعت نحو تحسين اقتصاد مصر، من خلال إعادة فتح مناجم النحاس في شبه جزيرة سيناء، كما عملت على توجيـــــه رحـلات تجارية نحو بلاد بونت، وذلك في العام التاسع من حكمها، حيث كانت تعود محملة بالمواد الثمينة والحيوانات المتنوعة، بعكس خليفها تحتمس الثالث الذي اتبع سياسة حربية خارجية؛ لتوسيع حدود مصر، وضمان السيطرة على طرق التجارة، وعلى الرغم من أن هذه السياسة كان لها تأثيرها الجيد على اقتصاد مصر، حيث عاد عليها بالرفاهية؛ إلا أن هذا النهج الذي اتبعته حتشبسوت، أثّر على قوة ونفوذ مصر في الخارج، مما شجع عدد من أمراء المدن الفينيقية،

على الثورة ضدها للتخلص من الحكم المصري، حيث اتخذوا من مدينة قادش مقراً لهم. (صالح، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، 2012، الصفحات 200-206)

وفي الحقيقة تحتاج الفكرة القائلة بأن حتشبسوت كانت ملكة مسالمة إلى تعديل بسيط، فمن الواضح أن فترة حكمها لم تخلُ من بعض النشاطات العسكرية، وإن كانت قليلة ومحدودة، ومن ذلك ما وصل من نقوش تتعلق بها وتبين موقفها من العالم الخارجي، وعلى الرغم من المبالغة التي حوتها تلك النقوش وهذا شيء معتاد عند فراعنة مصر، إلا أن ذلك لا ينفي وقوع بضع غزوات، وربما لجأت إلى القوة في حال فشل الوسائل السلمية، أو ظهور بوادر تمرد، كذلك حملات تجارية نحو الشمال إلى مدينة بيبلوس تحديداً للحصول على خشب الأرز. (ردفورد، 2005، الصفحات 135-137)

تنتهي الفترة الأولى من التقسيم بوفاة حتشبسوت، التي يبدو من خلال تتبع تاريخها أنها كانت فترة استقرار داخلي، حيث عمل ملوك هذه الفترة على دعم الاستقرار داخل مصر، وإصلاح ما أفسده الهكسوس، ولم تتعد علاقاتهم الخارجية أكثر من محاولات لقمع ثورة معينة، أو إرسال رسالة تهديد، كما أن أغلب الحملات قصد منها حفظ الأمن على حدود الدولة وطرق التجارة .

الفترة الثانية وهى الفترة التي تكونت فيها الدولة المصرية الحديثة، فمع تولي تحتمس الثالث (1504-1450 ق.م) عرش مصر، الذي أُعتبر من ملوكها الأقوياء، ويُؤخذ عليه انتقامه من حتشبسوت وأعوانها، ومن ذلك تحطيم تماثيلها ومحو آثارها، وقتل أنصارها، واجه تحتمس الثالث، عيوب السياسة الخارجية التي انتهجتها حتشبسوت خاصة وأن الأوضاع السياسية في آسيا الصغرى بدأت تتغير إذ ظهرت الثورات المضادة للنفوذ المصري في المنطقة، مدعومة من القوة الميثانية، (أديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة، 1997، صفحة 166) التي كانت تشكل خطراً كبيراً على الطرق، وتحكمها في المداخل التي يأتي منها المهاجرون، سواء في شمال سوريا أو أطراف بلاد الرافدين، منذ أواخر عهد حتشبسوت، وخلال بداية حكم تحتمس الثالث، وبلغ عدد الأمراء الثائرين حوالي 330 أميراً، مما جعلها تمتد على نطاق واسع، ويصبح لها قادة، ومن أهمهم حكام مدينتي قادش ومجدّو، اللذان عقدا تحالفاً مع دولة الميثانيين. (سعد الله، 2001، صفحة 25)

توجّه تحتمس الثالث بجيشه إلى مدينة مجدّو في فلسطين، مبتدئاً من مدينة ثارو، قرب مدينة القنطرة، وعبر منها إلى غزة في فلسطين، حيث احتفل فيها بالسنة الثالثة والعشرين من حكمه؛ لينتقل بعدها إلى يحم، الواقعة على المنحدرات الجنوبية، لسلسة جبال الكرمل، وهو يعتبر مصدّ قوي للقوات المصرية، التي ترغب في استكمال طريقها نحو مدينة مجدّو، فيتوقف تحتمس الثالث وجيشه فيها، لإعداد خطة عسكرية محكمة للقضاء على المتآمرين على حكمه، ليتخذ الطريق المتجه من يحم، إلى مدينة عارونا (ممر عارونا)، (أديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة ، 1997، الصفحات 166-168) مخترقًا الجنوب الشرقي لمجدّو، ليتواجه مع الجيوش المجتمعة فيها عام 1468 ق.م، وينتصر عليها، ويهرب أمير قادش منها، فتتوالى الحملات بعد ذلك على المنطقة، وتتعدد أهدافها، وأغراضها منها لإخافة المدن الواقعة في الشمال ومنها لجمع الجزية المترتبة عليها، أيضاً تدمير سلطة الميثانيين الذين كانوا يسعون جاهدين للسيطرة على المدن الفينيقية، من خلال تحريضهم على الثورات المستمرة ضد مصر الفرعونية. (سعد الله، 2001، الصفحات 255-256)

هذا التحالف الذي قُضى عليه نهائياً في معركة مجدّو سبقه العديد من الحملات التي بلغ عددها سبع عشرة حملة، للقضاء عليه نهائياً، ولتتمكن مصر بعدها من بسط سيطرتها على بلدان الشرق، واختلفت أهمية هذه الحملات، فبعضها كان مجرد حملات تفقدية مسلحة، وبعضها الآخر غارات تأديبية محدودة، السؤال هنا هل كانت حملاته هذه وفق تخطيط استراتيجي مسبقٍ؟ أم أن الأمر متروك للظروف المحيطة؟ هذا السؤال بحاجة إلى وثائق ليتم الإجابة عنه بشكل دقيق، غير أن تحتمس، شرع يُؤمن لجيشه قواعد قوية، حتى استطاع أن يقضي على التحالف. (فبركوتير، 1993، صفحة 112)

استسلم عدد كبير منهم، وطلبوا العفو من تحتمس الثالث حيث قدموا له الكثير من الهدايا، والخيول مقابل ذلك، مما زاد من ثروة تحتمس الثالث، وجنوده، خاصة مع الغنائم التي استولوا عليها بعد سقوط مدينة مجدّو، ومنها عجلات حربية، وخيول، وأغنام، وكميات كبيرة من الذهب والفضة، ولم يتمكن المؤرخون من تقديرها؛ لأن الكاتب الأصلي للنص أضافها على ما تحصل عليه المصريون من المدن الفينيقية الأخرى. (سعد الله، 2001، صفحة 256)

خضع قسم كبير من الشرق الأدنى لنفوذ تحتمس الثالث، ولم تكن حملاته التسعة اللاحقة، إلا للحفاظ على المكاسب التي حققها في المنطقة، وعلـى الرغـم من قوة مصر في فترة حكمه، إلا أنها كانت دائماً بحاجة إلى غارات مسلحة، لدعم حكمها في المناطق التي تسيطر عليها فمثلاً في عام 1464 ق.م، قام كلٌ من أميري قادش وتونيب، الواقعة على مقربة من نهر العاصي إلى عقد تحالف جديد، لمجابهة تحتمس الثالث لكنه تمكن من إنهائه، واستعادة السيطرة عليهما. (فيركوتير، 1993، صفحة 114)

كل ما سبق، كان له نتائجه الإيجابية على تحتمس الثالث ، إذ التفتت القوى الكبيرة في ذلك الوقت له، واعتبروه ملكاً مؤثّراً في سياسات الشرق القديم فأرسلت كلاً من بابل وآشور ،ويضاف إليهم الحيثيون هدايا دبلوماسية للفرعون لكسب وده، وتفادياً لغارات مستقبلية من قبله ، وحذت حذوهم كل من قبرص وألالاخ، بالإضافة إلى زيادة الروابط بين مصر والمناطق الخاضعة لها، فأدى ذلك إلى تنمية التجارة، وتبادل السفارات بينها، وسهولة التجارة مع الممالك المختلفة، وبالتالي انتشرت الرفاهية في البلاد، ونهضت الفنون فازدهر فنا النحت والتصوير، كما أن وفرة الموارد الثمينة المستوردة أنتجت العديد من الصناعات المحلية، وُبنيت المعابد، وألحقت إضافات جديدة للمعابد القائمة. (ردفورد، 2005، صفحة 143)

اتبع تحتمس الثالث، سياسة كانت ذات تأثير بعيد المدى وهى جلب أمراء المناطق التي يسطر عليها، وهم صغاراً في العمر، بحيث ينشئوا في البيئة المصرية إلى أن يبلغوا السن، التي يصبحون فيها مؤهلين لخلافة آبائهم على الحكم، وبهذا يضمن ولائهم. (رمضان، 2004، صفحة 410)، وهى خطة تنم عن امتلاكه لدهاء سياسي كبير، وقد اتبع هذا الأسلوب الكثير ممن جاء من بعده سواء على المستوى المحلي أو الخارجي. كما عمد إلى سن طريقة جديدة لضمان الحكم لإبنه، فقبل وفاته بسنتين، عمل على إشراك ابنه امنحوتب الثاني (1450-1425 ق.م) معه في الحكم، وهى سياسة جديدة لم يتبعها من سَبقه من الملوك، حتى لا يتكرر ما حدث له عندما تولى العرش، توفى تحتمس الثالث وخلفه ابنه امنحوتب الثاني الذي شاركه الحكم، وقد استغـلت المدن الفينيقية هذا الظرف في محاولة منها للتخلص من الحكم المصري، وذلك بالعودة إلى ثوراتها إلا أنه لم يمّكنها من ذلك، إذ وجّه إليها أولى حملاته العسكرية، والتي كانت في العام الثالث من حكمه (1447 ق.م)، وانتهت باستيلائه على قادش، إلا أن هذه الحملة لم تحسم الوضع بشكل نهائي. (جريمال، 1993، الصفحات 278-277)

ظهرت ثورة جديدة بتحريض من قرقميش، مما اضطر امنحوتب الثاني لإرسال حملتين الأولى في العام السابع من حكمـه(1443 ق.م)، "زحف جلالته في حملته الظافرة الأولى إلى رتنو، ليوسع حدود ملكه على حساب الخوارج، ممن خالفوا أمره فلم يكد يبلغ شمس إدوم هناك.....أصبح مثل ست فخر بها في لحظة قصيرة، ثم عبر جلالته نهر العاصي وكأنه الإله رشب، فلمح جماعة من السوريين مسلحين، فانقض عليهم وأخذوا يتساقطون بما في ذلك قائدهم، ثم بلغ جلالته أوغاريت، فأفناهم جميعاً، ثم وصل جلالته بعد ذلك إلى قادش، فخرج إليه أميرها مسالماً وترك جلالته أهل المدينة يقسمون بين يديه يمين الولاء، وانطلق بعجلته الحربية نحو نشبو، وكان وحيداً، ثم عاد بوقت قصير يجر ..... ستة عشر من أشرافها، وعشرين يد مقطوعة ....، وكان ذلك بعد أن سلمت المدينة ....

واتجه في طريقه إلى الوطن .....، ووصل جلالته إلى منف منشرحاً ". (عبدالحليم، 1991، الصفحات 278 -279)

أما حملتــه الثانية فكانت في العام التاسع مــن حكمه (1441 ق.م)، حيث وصل إلى نهـر العاصي، ما جعــل عدد من أمـراء المناطق الثائرة مثل نهــارينا، وجات، وسنجر، يقدمون الهدايا، وكذلك فعلت ميثــاني لأول مــرة، إذ أن الوضع في المنطقة بدأ يتغير، حيث تطــورت قوة الحيثيين الذين كانوا يسعون إلى توسيع مناطق حكمهم، فدفعها الخوف للجوء إلى مصر وهكذا أسفرت هاتين الحملتين عن وضع نهاية للصراع المصري الميثاني. (علي ع.، 2001، الصفحات 277-278(

يستدل من خلال النقوش العائدة لحكم امنحوتب الثاني، التي سجلت الهدايا التي تحصّل عليها، عن الوضع الاقتصادي الجيد، والترف الذي عاشته المدن الفينيقية، ومما جاورها من مناطق، فالهدايا التي قدمت دلت على وجود قصور، وأبنية فخمة، وقد كان من ضمن الهدايا عربات حربية، وهذا يعني أن الطرق كانت مُعدة لهذه العربات، وبالتالي فإن المدن الفينيقية كانت مستعدة اقتصادياً، ولكنها غير مؤهلة سياسياً لخوض غمار الحروب. (الحوراني، 1999، صفحة 73)

كما يبدو أن هناك علاقات ودية قامت بين امنحوتب الثاني، وبابل في زمن حاكمها كرإنداش حوالي عام (1415ق.م)، إذ تم تبادل السفارات بين الطرفين، وما تبعها من هدايا، وقد مكّنت هذه العلاقة السلمية القوافل التجارية التابعة لبابل، من الدخول إلى فينيقيا ومصر، والأناضول بسلام. (السعدي، 2011، صفحة 149)

عمل امنحوتب الثاني على تسجيل انتصاراته التي حققها في ثلاث لوحات الأولى وُجدت في ميت رهينة، والثانية في معبد الكرنك، والثـــالثة في معبد عمدا في بلاد النوبة. (عبدالحليم، 1991، الصفحات 278 -279)

انتهى حكم امنحوتب الثاني بوفاته، وتسلُّم ابنه تحتمــس الرابع (1425-1417ق.م) الحكم، حيث قام بتوجيه حملة عقب تسلُّمه العرش نحو آسيا، للقضاء على الثورة التي غالباً ما تقوم بها المدن الفينيقية، لجس نبض الملك الجديد، ويبدو أيضاً كان هدفه من هذه الحملة، هو السيطرة على أخشاب الأرز، كذلك توجّه في العام الثامن (1418 ق.م) من حكمه نحو بلاد النوبة؛ ليقضي على ثورته (أديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة ، 1997، صفحة 171)

تميز تحتمس الرابع بمنهج سياسي متمثل في عقد الاتفاقيات، حيث عقــد معاهدة مع الملك الميثـــاني أرتتما الأول (1400 -1390ق.م)،ليشكلوا قوة لضرب الحيثيين الذين بدأ خطرهم يستفحل في المنطقة، مهدت هذه الاتفاقية لما يسمى بالزواج السياسي، (الرحابنة، د.ت، صفحة 133) حينما أقدم فراعنة مصر على الزواج من أميرات غير مصريات، فتزوج تحتمس الرابع من ابنة الملك الميثاني التي عُرفت عند المصريين باسم موت أم أويا، وهي والدة امنحوتب الثالث، (بركات، 2001، الصفحات 59-61) وبموجب هذه الاتفاقية أصبحت الزوجة الأجنبية زوجة رئيسة بعكس ما كان يحدث في السابق، ومنعت هذه الاتفاقية تحتمس الرابع، من غزو مناطق شرق نهر الفرات بعد ذلك عقد مع بابل صداقة مثل التي عقدها مع الميثانيين، (برستد، 1996، الصفحات 216-217) ففي هذا الوقت كانت أحوال المنطقة لا تتطلب من تحتمس الرابع القيام بحملات حربية، ومع ذلك سمى نفسه فاتح سوريا، فالجزية المفروضة كانت تصل إليه كل سنة، وقد تبيّن من خلال رسالة كُتبت بعد فترة حكمهما، أنه تم تحديد مناطق النفوذ بينهما، فصارت أوغاريت، ومعظم مدن الساحل الفينيقي واقعة في نطاق النفوذ المصري. (اسماعيل، 2008، صفحة 159)

تميز حكمه بالرفاهية؛ لكثــرة الأموال المتدفقة على مصر من الخارج، خاصة بعد التخلص من مشاكسات الميثانيين، حيث لوحظ على الأبنيـــة المشيدة في عهـــده رفاهية ورقــة النقوش والرســوم، أيضاً كثــرة البعثات الدبلوماسية، والتجارية وقد وُصفت مصر في ذلك الوقت أنه كــانت تُسمع جميع لهــجات العالم القديم في شـــوارعها دلالة على السلام والأمــن السائد في تلك الفترة (بركات، 2001، الصفحات 59-61)، وبنهاية هــذا الفرعون تنتهي الفترة الثانية من التقسيم، ومن

خلال ما ذُكر في السابق، فإن تحتمس الثالث، وامنحوتب الثاني تمكنا من القضاء على الثورات الفينيقية، ما يُفسر عدم وجود حملات عسكرية كثيرة نحو آسيا في زمن حكم امنحوتب الثاني، وخلوها في زمن حكم تحتمس الرابع ما يدُل على وصول السلطة المصرية في تلك المنطقة لمستوى كبير من السيطرة، ما سهل من مهمة تحتمس الرابع إذ كان عليه فقط الحفاظ على مناطق النفوذ المصري. (السيد، د.ت، الصفحات 97-100)

تبدأ الفترة الثالثة من التقسيم السابق بحكم امنحوتب الثالث (1417 -1379 ق.م)، الذي لم تذكر له أي حملة وُجّهت نحو فينيقيا حيث كان حكمه خالياً من الحملات العسكرية، وربما يكون ذلك عائداً إلى السيطرة المصرية القوية على الجزء الشمالي، خاصة وأنه تزوج من أميرة ميثانية تدعى جيلو هيبا، وهى ابنة الملك شوتارنا الأول، وقد استمرت العلاقات الجيدة، حتى مع قدوم الملك الميثاني توشاراتا، الذي قدم ابنته توداخيبا هدية له، ما سهل العلاقات بين الطرفين كما أنه تزوج من أميرة بابلية،كما يُستنتج من رسائل تل العمارنة التي أرسلها أمراء المدن الفينيقية، استمرار كل من بيروت وصور وصيدا وبيبلوس وأوغاريت على ولائها للفرعون المصري، مما يدل على أن العلاقات التي ربطتهم مع الميثانيين كان لها أثرها في استكانة المدن الفينيقية، فلو كان العكس لسعى امنحوتب الثالث لمحاربتهم. (الرحابنة، د.ت، الصفحات 134-135)

حلت في مصر فترة من الهدوء والسلام، حيث توقفت الأعمال الحربية خلال حكم امنحوتب الثالث، و نشطت العلاقات الديبلوماسية والتجارية، ويدل على ذلك كثرة الرسائل المتبادلة بين الملوك الآسيويين والفرعون التي كانت معظمها باللغة الأكادية وهى تعتبر لغة عالمية في ذلك الوقت، وقد كان يتمتع بنفوذ واسع في بابل التي تعترف بسلطة مصر على الفينيقيين في المنطقة، فحينما أراد بعض الأمراء التجرد من حكم مصر قاموا بمراسلة كوريكالزو الأول (1385-1375 ق.م)، حاكم بابل يدعونه للانضمام لهم فخاطبهم بالرفض وهددهم بالقوة، في حال قيامهم بذلك وقد وُجد ذلك مدوناً ضمن رسائل بابل وفي الحقيقة لا يعرف ما إذا كانت هذه الرواية صحيحة أم لا، وقد تنافست كل من بابل، وآشور، وميثاني، وقبرص على اكتساب ود مصر ويعتبر هذا أول مظهر سياسي دولي عام في تاريخ الممالك المعروفة وفي نهاية حكم امنحوتب الثالث، ضعف النفوذ المصري في آسيا. (برستد، 1996، صفحة 219)

استغل الحيثيون هذا الضعف بإثارة الاضطرابات داخل الممالك التي كانت تحت السيادة المصرية، ومنها قطنة، حيث أُبلغ امنحوتب الثالث أن ملك الحيثيين قام باقتحام المناطق التي يحكمها والي قطنة ، وإحراق أجزاء كبيرة من المدينة، كما أن ملك مقاطعة خوشاني الشمالية، المعروف باسم حدد نيراري طالب امنحوتب الثالث حماية حدود مصر من الحيثيين، وفي الوقت نفسه أعلن ولاءه لهم واستغنت بعض المدن الفينيقية عن ولاءها للحكم المصري؛ وذلك طمعاً في الاستيلاء على العديد من المقاطعات في المنطقة، مثل أزيرو ووالده اللذان قاما بثورة كبيرة، واتجها ناحية قطنة ونوخاشي، ما شكل تهديداً خطيراً على مدينة دمشق المعروفة باسم أوبي، فاستنجد حاكم كل من قطنة وبيبلوس بإمنحوتب الثالث، وهذا يدل على مدى ضعف وغياب امنحوتب الثالث عن المنطقة ما قلل من هيبته؛ فتوسع نطاق الاضطرابات أكثر حتى وصل إلى صيدا، وكذلك تجرأ ما يعرف ببدو سيناء المعروفين بالخابيرو بالإغارة على سوريا وفلسطين، ونتيجة لكل ذلك أضحى النفوذ المصري في المنطقة في خطر. (اسماعيل، 2008، صفحة 242)

ظهرت أفكار جديدة في آواخر سنوات حكم امنحوتب الثالث، التي وجدت صداها عند ابنه، وخليفته امنحوتب الرابع (1379-1362 ق.م)، الذي يُعتبر الراعي الرسمي لها، إذ يُعد امنحوتب الرابع، مصلحاً دينياً أكثر من كونه رجلاً سياسياً، واجتمعت فيه صفات الرجل المسالم، لا الرجل المحارب

في الوقت الذي كانت فيه مصـر بحـاجة إلى رجـل دولة، وقـــائد قوي. (سعد الله، 2001، صفحة 267_ 270)

نقــل امنحوتب الرابع في بداية حكمه عاصمته من طيبة إلى تل العمارنة، وغيّر اسمه إلى اخناتون، ونادى بعبادة الإله آتون قرص الشمس بدلاً من آمون وجعل كل تركيزه على معبوده الجديد، تاركاً نفوذ مصر في الخارج يتزعزع، ولم يُدرك ذلك إلا في وقت متأخر حين قرّر ضرورة القيام بعمل حاسم لإنقاذ نفوذ مصر. (ألدريد، 1992، صفحة 75)

يتبيّن ذلك من خلال رسائل تل العمارنة، التي توضح أن بعض الأمراء الفينيقيين، استغلوا الصراع الديني الدائر في مصر؛ لينفضوا عنهم عباءة الحكم المصري، ومنهم أمير قادش الذي هزم الأمراء الفينيقيين الموالين لمصر بدعم من ملك الحيثيين شوبيلوليوما، كذلك عبدي شرتا، حاكم مدينة عمورو الذي كان مثالاً للخداع السياسي، إذ سيطر على جزء كبير من حوض نهر العاصي، وحاول بسط نفوذه على حساب جيرانه ومنهم مدينة بيبلوس المؤيدة للحكم المصري، حيث أرسل حاكمها ربعدي رسائل النجدة إلى اخناتون، التي بلغ عددها سبعاً وستين أو ثمانٍ وستين رسالة، في الوقت نفسه كان عبدي شرتا، يُرسل رسائل الولاء إلى اخناتون، وتارة أخرى إلى الحيثيين، محاولاً كسب الوقت للعمل على توسيع حدود إمارته، وبالفعل وقعت الكثير من مدن الساحل في يده. (حتّى، 1972، صفحة 99(

استمر هذا الوضع مع حكم عزيرو، خليفة عبدي شرتا، مدعياً أنه يقوم بحماية الأملاك المصرية، بضمها تحت جناحه وذهب لمقابلته؛ ليعود بثقته واستمر أمير بيبلوس في إرسال الرسائل المتوسلة، والمحذرة من عزيرو. (سعد الله، 2001، الصفحات 267-269)

أما صور فعلى ما يبدو بقيت على وفائها للحكم المصري، إذ تبيَّن من خلال رسائل تل العمارنة، أن ملكها أبي ملكي، كان يبلّغ مصر بكل ما يحدث في المنطقة، من أمثلة ذلك حينما أبلغ باحتراق نصف مدينة أوغاريت وعن وجود جيش حيثي بالقرب من الشواطئ، وهذا يدل على أن صور امتلكت أسطول بحري نشيط وضعه ملكها تحت تصرف الحاكم المصري، كما لها علاقات كبيرة مع المنطقة، غير أن هذا لا يمنع من وجود مناوشات بينها وبين صيدا، من أمثلة ذلك بعض رسائل ملكها التي احتوت شكواه من حاكم صيدا زمريدا حيث حرمه من الاستفادة من ماء أوزو-رأس العين-، ومنعه إياه من جلب الحطب (الحوراني، 1999، صفحة 75) .

يُدرك المطّلع على رسائل تل العمارنة، أن المنطقة كانت متجهة في طريق التخلص من الحكم المصري، وعدم الخوف من الحاكم الجديد، ومن أمثلة ذلك الرسائل التي أرسلها بورا بورياش، ملك بلاد بابل إلى امنحوتب الرابع، يبلغه بتعرض قافلة بابلية للنهب والقتل، وهي في طريقها إلى مصر عابرة فينيقيا ، ويطلب فيها من امنحوتب الرابع التحقق من الأمر ومعاقبة القاتل، وتعويضه عن الخسائر. (الحوراني، 1999، صفحة 75)

أما جنوب سوريا أي فلسطين الوسطى، والجنوبية فقد ظهرت فيه جماعة الخابيرو التي حاولت دفع المصريين عن المنطقة، مستغلين تنازع الأمراء المحليين على الحكم، حيث تعاونوا مع لابايا، حاكم سشم، وهاجموا مدينة جازر وغيرها من المدن المجاورة، وسمح لابايا، للخابيرو بدخول مدينته، ومضايقة كل من هو موالٍ لمصر من المحيطين بهم من ضمنهم عبدي خيبا أمير القدس، فأرسل أمير القدس رسالة نجدة إلى اخناتون، وفي ذات الوقت أرسل لابايا إلى اخناتون رسالة يُعبر فيها عن حسن نواياه، إلا أن اخناتون لم يصدقه، وأرسل نجدة لأمير القدس، فقتل لابايا أثناء فراره، ليتولى أبناؤه من بعده حيث استمروا على نهج أبيهم، واستمر عبدى خيبا، في إرسال المراسلات لأخناتون متسائلاً في إحداها عن عدم إرسال حملات أخرى، للقضاء على هذه الانقلابات. (سعد الله، 2001، الصفحات 269- 271)

وعلى الرغم من عدم وجود ما يدل على أن اخناتون كان قائداً حربياً، إلا أنه في الوقت نفسه، لا يوجد ما يثبت أنه كان فاشلاً في إدارة مناطق نفوذه خارج مصر، فقد ظهر في بعض اللوحات مع

حرسه الحربي الخاص والجنود حوله؛ ولعل ذلك كان في أحد المعسكرات المسلحة. (ألدريد، 1992، صفحة 19)

وعلى كل حال كانت السلطة المصرية تهدف بشكل عام إلى المحافظة على النظام، والسيطرة على الطرق الرئيسة، وطلب الجزية، وقد تحقق لها ذلك عن طريق الحاميات التي كانت تقيمها في المنطقة، أما الجزية فكانت تجمع عن طريق موظفين مقيمين، حيث اتخذ الممثل الرئيسي للفرعون في المنطقة مدينة غزة، مقراً رئيساً له، وفي زمن اخناتون، وخلفائه أصبحت المدن الفينيقية، وبعض المناطق الأخرى التي كانت تحكم كمقاطعة مصرية منذ نهاية عصر الهكسوس، خارجة عن السلطة المصرية، إذ وطد الحيثيون حكمهم في القسم الشمالي منها، في حين أصبح الآراميون في سوريا الداخلية، والعبرانيون في سوريا الجنوبية والفلسطينيون على الساحل الجنوبي. (حتى، 1951، الصفحات 145-14)

تـوفى امنحوتب الرابع، وخلفه مجموعة من الملوك الضعفـاء، ولا يُذكر لهم أحداث معينة، ليخلفهم توت عنخ أمون (1361-1352 ق.م)، وهو من أنصار دعوة امنحوتب الرابع الدينية، وقام بحملة عسكرية نحو الشمال؛ لإعادة السيطرة على مدن قطنة وتوخـاشي وقادش من سيطرة عـزيرو وبعد وفاته، أرسلت أرملته إلى الملك الحيثي مورشيل الثاني (1360-1330 ق.م)، تطلب الزواج من أحد أبنائه الأمراء. (سعد الله، 2001، صفحة 79)

استجاب الملك لطلبها، وأرسل ابنه الذي اغتيـل وهو في طريقه إلى مصر، من قبل رجال الأمن المصريين المعروفين باسم رجال وخيل مصر، وربما كان ذلك بتعليمات من الأب الإلهي -آي-، وبمعرفة حور محب الذي كان قائداً للجيوش المصرية في ذلك الوقت، مما دفع القوات الحيثية إلى التوجه إلى مكان قتل الأمير، والقبض على قتلته حيث حوكموا وعوقبوا وفق القانون السائد عند الحيثيين. (سعد الله، 2001، صفحة 274)

تـولى حور محب الحكم (1348-1320 ق.م)؛ لعدم وجود وريث شرعي كما أن منصبه كقائدٍ للجيش، سهل عليه مهمة تسلُّم العرش، وعلى الرغم من أنه لا ينتمي للعـائلة المالكة، فإن مصـر شهـدت في زمنه تغييـرات واضحة في الإدارة، والقانون، كذلك عقد اتفاقية سلام مع الملك الحـيثي مورشيلي الثالث، بعد مناوشات بينهما حينما قام حور محب، بتوجيه حملة إلى المناطق الواقعة بين بيبلوس وقرقميش، ما سبب ضغطاً على الحيثيين، وبوفاته تنتهي فترة حكم الأسرة الثامنة عشرة. (سعد الله، 2001، الصفحات 79-80)

اتبع ملوك الأسرة الثامنة عشرة سياسة الغزو داخل المناطق الآسيوية بعد تمكنهم من طرد الهكسوس، ما قادهم إلى العمل على تشكيل وحدة سياسية سعوا للحفاظ عليها، حتى يتمكنوا من السيطرة على موارد تلك المناطق، وقد ساعدهم في ذلك ضعف الأمراء الآسيويين فتوجه أحمس بحملة ضد قدمي وميثاني، وكذلك فعل كل من تحتمس الأول والثاني والثالث، وبقية ملوك هذه الأسرة، وما ميز الحكم المصري في المناطق التي استولوا عليها، أنهم لم يتعرضوا لديانتها، كذلك لم يتدخلوا في سياستهم الداخلية، حيث تركوا حكامها يتولون شأنها مقابل الولاء للملك المصري، وهكذا وبنهاية حكم الأسرة الثامنة عشرة، يُلاحظ أن الحكم المصري في آسيا آخذ يتداعى تدريجياً؛ لعاملين اثنين الأول ثورة اخناتون الدينية حيث انصرف اخناتون لمعبوده الجديد، مهملاً لأمور الحكم والسياسة في الخارج، والعامل الثاني مؤامرات الحيثيين الذين لم يدخروا جهداً، في تحريض المدن الفينيقية ضد الحكم المصري. (سليم، 1989، صفحة 159)

أتـاح الجيش المصري الذي أُعتبر من أقوى الجيوش في ذلك الوقت، فرصة تولى حور محب الحكم، وبهذا تمكن الجيش من التدخل في الحياة السياسية للدولة، وهذا إثبات على ضعف حكامها في أواخر سنوات حكم الأسرة الثامنة عشرة، وبما أن حور محب كان رجُلاً كبيراً في العمر، وليس لديه ابن يعقبه على العرش سمح لرجل عسكري مثله بأن يكون هو خليفته على العرش، وبهـذا تولى

رعمسيس الأول الحكم (1320-1318 ق.م)، وبه يبدأ حكم أسرة جديدة هي الأسرة التاسعة عشرة. (علي ر.، معالم تاريخ مصر القديم منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق.م ، 1986، صفحة 461(

في نهاية هذه الدراسة يمكن القول بأن مصر تعاملت مع حكام وشعوب الشرق الأدنى القديم بصفة عامة، والمدن الفينيقية بصفة خاصة على أساس المصالح المشتركة، فقد كانت المعاملات والعلاقات التجارية هي الرغبة المشتركة بين مصر وفينيقيا، إذ كانت مصر تهدف إلى فتح أسواق لتصريف منتجاتها واستيراد ما يلزمها من موارد من الشرق الأدنى القديم.

كذلك رغبة الإدارة المصرية في السيطرة على الطرق التجارية المهمة في المنطقة والسيطرة على الثروات الاقتصادية التي تتمتع بها، والتي كانت مصر تتحصل عليها من أمراء المدن الفينيقية، وقد أشارت سجلات ملوك الدولة المصرية الحديثة إلى ذلك مثل سجلات تحتمس الثالث، ورسائل تل العمارنة، والتي كانت عبارة عن مواد مختلفة كالذهب، والفضة، والبرونز، واللازورد والأخشاب، والحبوب، وأنواع مختلفة من الأنعام والمواشي، وغير ذلك كثير. كذلك الأمر نفسه بالنسبة للمدن الفينيقية التي وجدت في مصر المكان الجيد للتعامل التجاري، وبالتالي أضحت هذه العلاقات التجارية أساس العلاقات التي قامت بين مصر وفينيقيا، وهي الدافع المباشر لبداية تلك العلاقات الخارجية.

تخلل هذه العلاقات الكثير من الأحداث التي أثّرت على المنطقة، سواء كان ذلك بالسلب أو الإيجاب، وكانت علاقات الجذب التي تحدث بينهما؛ سبب في قيام الحروب بينها على فترات تاريخية عديدة .

كما ينبغي الإشارة إلى أهداف أخرى ومن ضمنها الانتقام من الهكسوس الفارّين إلى آسيا، وقد تمثل ذلك في حملات كل من أحمس الأول وتحتمس الأول وتحتمس الثالث، كذلك ارتبط هذا الهدف بضرورة تأمين حدود مصر الشرقية من كل ما قد يهددها، فمنها دخل الهكسوس إلى مصر، ونتيجة لذلك تفضل الباحثة استخدام مصطلح عقدة الهكسوس التي أصابت المصريين .

رغبة حكام مصر في التوسع رغبة مشتركة بين القوى الكبرى التي ظهرت في المنطقة، وقد وضح ذلك من خلال الصراعات التي وقعت فيها، فكل منها أراد توسيع رقعة المكان الذي يحكمه على حساب الآخر. كما كان لموقع المدن الفينيقية على الساحل الفينيقي سبب في التواصل بين قارات العالم القديم، ما جعلها منطقة جذب للعديد من الشعوب، إذ أنها كانت منطقة مفتوحة أمام حكام وشعوب مصر وبلاد الرافدين، وآسيا الصغرى، والبحر المتوسط ما نتج عنه مزج حضاري في المنطقة، وجعلها تقع ضحية للنزاعات، والصراعات الدولية الواقعة في المنطقة. كذلك فإن المدن الفينيقية ارتبطت تاريخياً بمصر بشكل كبير، ويمكن وصفها بأنها تبعت السلطة المصرية، قبل أن تكثر القوى المتعاظمة في المنطقة، فأضحت علاقة المدن الفينيقية بمصر مرتبطة بأحداث المنطقة، إذ كلما أرادت مصر التوجه نحو منطقة الشرق الأدنى، وجدت نفسها تمر بالمدن الفينيقية، ما حتم عليها إخضاعها لنفوذها سواءٌ عسكرياً، أو دبلوماسياً؛ لذلك فإن استقرار المدن الفينيقية متوقف على علاقة مصر بالعالم الخارجي. اتفق المؤرخون على أن العلاقات التي ربطت الجانبين كانت تجارية، ولكن خلال الدراسة، توضح وجود أسباب أخرى قادت لأن يكون هناك علاقة بين الجانبين، خاصة من الجانب المصري فلكي يكون الفرعون عظيماً عليه أن يسيطر على منطقة الشرق الأدنى القديم، وما يؤكد ذلك لجوء العديد من الفراعنة إلى المبالغة، والتمجيد في وصف أنفسهم ومعاركهم، ونشاطاتهم الأخرى، وهذا ما جعلهم يدخلون في معارك أحياناً ليس هناك داعي لها.

لذا ومن خلال ما سبق فإن التجارة تعد الهدف الأول الذي دفع الفرعون المصري؛ لتأسيس علاقات مع الجانب الفينيقي، لكن هذا لا ينفى وجود عوامل أخرى لا تقل عنها أهمية .

المراجع

إبراهيم زرقانة، و محمد شكري. (د.ت). حضارة مصر والشرق القديم. مكتبة مصر.
إبراهيم سيف الدين، زكي علي، و حمد هاشم. (1998). مصر في العصور القديمة (المجلد ط2). القاهرة: مكتبة مدبولي.
أبو العيون عبدالعزيز بركات. (2001). معالم تاريخ مصر القديم منذ بداية عصر الدولة الحديثة وحتى مجيء الاسكندر المقدوني. الأزاريطة: دار المعرفة الجامعية.
أحمد آمين سليم. (1989). في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر – سوريا القديمة. بيروت: دار النهضة العربية.
بكر إبراهيم. (2004). موسوعة تاريخ الفراعنة. مركز الراية للنشر والإعلام.
ج شتيندورف. (1990). عندما حكمت مصر الشرق. (محمد موسى، المترجمون) القاهرة: مكتبة مدبولي.
جان فيركوتير. (1993). مصر القديمة. (ماهر جويجاتي ، المترجمون) القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
جان فيركوتير. (1993). مصر القديمة. (ماهر جويجاتي، المترجمون) القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
جيمس برستد. (1996). تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي. (المجلد ط2). (حسن كمال، المترجمون) القاهرة: مكتبة مدبولي.
حسن شوال. (2005). الصراع الحيثي الميثاني المصري للسيطرة على سورية في القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد، (رسالة ماجستير). جامعة الزقازيق، مصر.
خالد علي الرحابنة. (د.ت). العلاقات السياسية والتجارية المتبادلة بين مصر وجنوبي بلاد الشام خلال العصر البرونزي المتأخر ، 1550_ 1200 ق.م، (رسالة ماجستير غير منشورة). الأردن: جامعة اليرموك.
دونالد ردفورد. (2005). مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم. (علي خليل، المترجمون) دار الرأي للنشر والتوزيع.
رمضان السيد. (د.ت). تاريخ مصر القديمة منذ بداية الأسرة الخامسة عشر حتى دخول الاسكندر الأكبر مصر عام 336ق.م، د.ن.
رمضان عبده علي. (1986). معالم تاريخ مصر القديم منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق.م . القاهرة: مكتبة نهضة الشرق.
رمضان عبده علي. (2001). تاريخ مصر القديم. القاهرة: دار نهضة الشرق.
سمير أديب. (1997). تاريخ وحضارة مصر القديمة. مكتبة الاسكندرية.
سمير أديب. (1997). تاريخ وحضارة مصر القديمة . مكتبة الإسكندرية.
سيريل ألدريد. (1992). أخناتون. (أحمد زهير آمين، المترجمون) الهيئة المصرية العامة للكتاب.
عبدالعزيز صالح ، و محمد سعد الله. (1988،2012). الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، الدور السياسي للملكات في مصر القديمة . مكتبة الأنجلو المصرية، مؤسسة شباب الجامعة.
عبدالعزيز صالح. (2012). الشرق الأدنى القديم مصر والعراق. مكتبة الأنجلو المصرية.
عبدالعزيز صالح، و جمال مختار. (1997). موسوعة تاريخ مصر عبر العصور. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
عبده رمضان علي. (2001). تاريخ مصر القديم. القاهرة: دار نهضة الشرق.
عبده علي رمضان. (2004). حضارة مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية. القاهرة: وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار.

فاروق اسماعيل. (2008). أخبار أوغاريت في مراسلات العمارنة. مجلة دراسات تاريخية، صفحة 59.
فيليب حتى. (1951). تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين . (جورج حداد، و عبدالكريم رافق، المترجمون) بيروت: دار الثقافة.
فيليب حتّى. (1972). تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر. (أنيس فريحة، المترجمون) بيروت: دار الثقافة.
محمد حسن السعدي. (2011). حسن محمد محي الدين السعدي ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم،. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
محمد سعد الله. (2001). في تاريخ مصر القديمة والشرق الأدنى القديم. الأزاريطة: مركز الاسكندرية للكتاب.
محمد مهران. (1994). المدن الفينيقية –تاريخ لبنان القديم. بيروت: دار النهضة العربية.
نبيلة عبدالحليم. (1991). مصر القديمة تاريخها وحضارتها. د.ن: مكتبة الطلب.
نيقولا جريمال. (1993). تاريخ مصر القديمة (المجلد ط2). (ماهر جويجاتي، المترجمون) القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
يوسف الحوراني. (1999). المجهول والمهمل من تاريخ الجنوب اللبناني (جبل عاملة)، من سجلات الفراعنة للألف الثاني ق.م. بيروت: دار الحداثة.